ابو الطيّب اللغويّ الحلبي

(— ٣٥١ هـ = ٩٨٢ م)

هو عبد الواحد بن عليّ المعروف بأبي الطيب اللغوي العسكري الحلبي من عسكر مكرَم قدم حلب وأقام بها الى أن قتله الروم وأباه في دخول الدمستق حلب سنة ٣٥١ هـ ، وبذلك ضاع أكثر مؤلفاته الممتعة ، ولعل ما بقي منها الى اليوم كان منسوخاً وموزّعاً في الأقطار الاسلامية قبل استشهاده ، يؤيده قول أبي العلاء المعرّي في غفرانه[1] بعد أن ذكر كتبه : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب » .

دراسته الأولى

ليس لدينا مصادر تبين حقيقة دراسته الأولى والظاهر أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم في موطنه الأول عسكر مكرم وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب في صدر الاسلام ونسب الى مكرم بن معزاء بن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وما زال العمران يتزايد فيه حتى أصبح مدينة زاهرة بحضارتها وعلمائها ، قال ياقوت في معجمه[2] : وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان ابو احمد الحسن بن عبد الله ... اللغوي العلامة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري . ثم رحل عن بلده عسكر مكرم الى حلب ، وهي يومئذ زاخرة بالعلم والأدب ،

---

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطئ ص ٥١٣ .
(٢) ١٧٦/٦ مطبعة السعادة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعامرة بالعلماء والأدباء من أعيان القرن الرابع الذين ضمتهم الحضرة السيفية الحمدانية كالفارابي وابن خالويه وابن نباتة الخطيب الفارقي وأبي الطيب المتنبي والصنوبري والنامي والناشئ من الشعراء وأضراب هؤلاء ، وفي حلب هذه نضج علمه وظهر فضله على غيره .

أساتذته وتلامذته

كان ابو الطيب أحد الحذّاق من العلماء المتقنين لعلمي اللغة والعربية ، أخذ عن أبي عمر الزاهد المطرّز الورّاق غلام ثعلب [1] ، وهو الذي قال فيه أبو القاسم عبد الواحد بن برهان الأسدي : « لم يتكلم في العربية أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد » .

وروى ابن القارح علي بن منصور المحدث ، وهو من تلاميذ أبي الطيب في رسالته [2] المشهورة التي أجابه عليها المعرّي في غفرانه ، قال : قال (لي شيخي أبو الطيب) : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خزف وأجلس على دجلة أحفظها وأرمي بها .

وأخذ ابو الطيب أيضاً عن محمد بن يحيى الصولي الكاتب الذي أخذ عن ثعلب والمبرد والسجستاني وغيرهم من الأئمة ، وكان أبو الطيب من المحققين باللغة والأدب ، والحفاظ المعروفين بالرواية والدراية ، ومن اطلع على مؤلفاته شهد له بسعة العلم ، وصحة الطبع ، وفن التمحيص والاستحضار ، قال ابو علي الصقلي :

كنت في مجلس ابن خالويه ، إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزانته وأخرج لها كتب اللغة ، وفرقها على من كان عنده من أصحابه ينتشونها ليبحث عنها ، فتركته وذهبت الى أبي الطيب

(١) انظر ترجمته في المجلد الناسع ص ٦٠١ .
(٢) رسالة ابن القارح سنة ١٣٣١ هـ ص ٢١١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اللغوي ، وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، وبيده قلم الحمرة ، فأجاب به ولم يغيّره قدرة على الجواب !

إن هذه الحادثة تدلنا على المنافسة التي كانت بين أبي الطيب وابن خالويه ، وعلى مبلغ إعجاب ابي علي الصقلي بأبي الطيب وتحزبه له ، كما تدل على أن علم أبي الطيب كان صدرياً لا قمطرياً : أي مما وعاه الصدر لا ما حواه القمطر ، فهو في ذلك شبيه بعبد الملك بن قريب الأصمعي ، وابن خالويه الحسين بن احمد شبيه بأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كان لا يجيب الا بعد الرجوع الى قمطره وخزانة كتبه ، وكان الرشيد يختبر فيها ذلك كما فعل سيف الدولة في المسائل اللغوية ؛ على أن أبا العلاء المعري الذي ذكر هذه الحادثة في رسالة الغفران[1] ، كان يميل الى ابن خالويه ، فجعل الاعتماد على الأوراق والدفاتر من حزم الحافظ الذاكر ، إذ قال : « وأما ابو عبد الله بن خالويه وإحضاره للبحث النسخ ، فانه ما عجز ولا أفسخ - أي نسي - ولكن الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً » ، وبعد أن أشاد بذكر ابن خالويه عطف على ترجمة ابي الطيب اللغوي فأثنى عليه ، وأشار الى ما كان بين الشيخين من المنافسة والجفاء وحرمان المعاصرة بقوله : « وكان ابن خالويه يلقبه قرموطة الكبر تثل يريد دحرونجة الجعل لأنه كان قصيراً » !

ثم قال المعري : « وحدثني الثقة انه كان في مجلس أبي عبد الله بن خالويه ، وقد جاءه رسول سيف الدولة بأمره بالحضور ، ويقول له : قد جاء رجل لغوي يعني أبا الطيب هذا ، قال المحدث : فقمت من عنده ومضيت الى المتنبي[2] ، فحكيت له الحكاية ، فقال : الساعة يسأل الرجل عن (شوط براح والعيلوض)[3]

---

(١) طبعة دار المعارف ص ٥١٣ .

(٢) وكان ابو الطيب المتنبي صديقاً لأبي الطيب اللغوي جمعت بينهما عداوة ابن خالويه .

(٣) شوط براح هو ابن آوى ، والعلوض بالضاد المعجمة ابن آوى بلغة جهينة وبالصاد كما في بعض نسخ الغفران هو الذئب . م (٢) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نحو ذلك ، يعني أنه «بعنته» . أي بعنت أبا الطيب اللغوي بالسؤال عن الغريب ، وهذا الحديث يدل على بدء التعارف بين الشيخين ، وعلى ما كان بينهما من الإعنات والجفاء ، والمنتصر لأبي الطيب يقول ان ابن خالويه كان يستظهر ألفاظاً من الغريب الوحشي ليهاجم بها في المآزق خصومه ، وهم على غير أهبة ، وقد يكون خصومه أكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ؛ على أن ابا الطيب كان على رأي الحاتمي الذي سنذكره حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً .

وقال ابو العلاء : «وقد كان ابو الطيب يتعاطى شيئاً من النظم» قال ذلك بعد أن ذكر ما كان بينه وبين ابي العباس بن الكاتب البكتمري [1] من المودة والمؤانسة ، وأورد له شعراً في التشوق اليه أوله :

يا «عبدُ» انك عند القلب جنته حباً ، وانك عند الطرف ناظرُه

يريد «يا عبد الواحد» ، ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد ، ومما يدل على تعاطي أبي الطيب للشعر وعلى شدة غيرته على اللغة ، وعلى اتصال سنده بالخليل الفراهيدي قوله : «أخبرني محمد بن يحيى (الصولي) قال : أنشدني عمر بن عبد الله العتكي ، قال : أنشدني ابو الفضل جعفر بن سليمان النوفلي عن الحرمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها» . قال أبو الطيب : «أراد بهذا أن يبين ان تكرار القوافي ليس بضار ، اذا لم يكن بمعنى واحد ، وليس بإبطاء ، والأبيات هي :

يا ويح قلبي من دواعي الهوى اذ رحل الجيران عند الغروب [2]

أتبعتهم طرفي ، وقد أزمعوا ودمع عينيّ كفيض الغروب [3]

كانوا ، وفيهم طفلة حرة تفترّ عن مثل أقاحي الغروب [4]

(١) وفي اليتيمة : ابو الفتح البكتمري ويعرف بابن الكاتب الشامي من شعراء آل حمدان ، ونقل له شعرا يحاكي هذا الشعر برقته وروحه .

(٢) غروب الشمس .

(٣) جمع غرب وهو الدلو العظيمة المملوءة .

(٤) جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال ابو الطيب : فقصد هذا القصد بعض الشعراء فيما أنشده ثعلب ولم يذكر قائلاً [١] ، ومطلع قصيدته الخالية :

أتعرف أطلالاً شجونك بالخالِ ... وعيش زمان كان في العصر الخالي

ثم قال ابو الطيب : ولما ظننا ان من سمع هذه الأبيات ربما خال صاحبها قد زاد على الخليل بن احمد ، وانه لما تعرض لشيء تقصاه رأينا أن نبين أنه بخلاف هذه الصورة ، وانه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل اكثر مما أورد ، وقد بقي عليه من هذه القوافي ما نحن ناظمون أبياتاً ومعتذرون من تقصيرنا فيه ، اذ المراد ايراد القوافي دون التعمد لنقد الشعر وعدد الأبيات (١٤) ومطلعها :

ألمّ بربع الدار بانَ أنيسه ... على رغم أنف اللهو قفراً بذي الخالِ

ومقطعها :

«وان زعموا أني تخليت بعدها ... فما أنا عنها بالخليّ ولا الخالي [٢]»

وذكر محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الهلباجة أنه كان يوزن في مجلس سيف الدولة بابي علي الفارسي فارس العربية ، وبأبي عبد الله بن خالويه ، وكان له السهم الفائز في علوم العربية ، وبأبي الطيب اللغوي ، وكان حتف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً !»

قال أبو الطيب : قرأت على ابي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي ابو عمر كنت أعلق اللغة عن ثعلب .

مصنفات أبي الطيب

قال ابو العلاء المعري في ترجمة ابي الطيب في الغفران ، والظن الغالب ان جميع من ترجم له كالمجد الفيروزبادي في (البلغة في طبقات أئمة اللغة) والجلال

(١) انظر اعلام النبلاء ٤/٣٦ . فقد اورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التحريف .
(٢) وأورد ابن شاكر الدمشقي في عيون التواريخ ، وهو من مخطوطات الاحمدية بحلب ، هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية اخرى لعبد الله بن محمد المروضي في ٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصي من المتأخرين خالية تقع في ٢٥ بيتاً ، مضمومة الروي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السيوطي في (بغية الوعاة) قد اعتمدوا على ابي العلاء الذي يقول[١] : « له كتاب في (الاتباع) صغير ، على حروف المعجم ، في أيدي البغداديين ، وله كتاب يعرف بكتاب (الابدال) قد نحا به نحو كتاب يعقوب في (القلب) ، وكتاب يعرف (بشجر الدر) سلك به مسلك أبي عمر (الزاهد) في المداخل ، وكتاب في (الفرق) قد أكثر فيه وأسهب ... » .

وقد لا يخلو من فائدة شرح هذه الكتب التي سماها ابو العلاء تباعاً ، وقد أغفل ذكر بعض مصنفاته منها كتاب (مراتب النحويين) أو اللغويين ، وهو جزء لطيف في طبقات النحاة يوجد في بعض مكاتب الأستانة ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون[٢] وسماه (مراتب النحاة) ، ومنه بدار الكتب المصرية نسخة في الخزانة التيمورية[٣] ، كما أغفل أبو العلاء كتابه (المثنّى) ولم يذكره صاحب البغية أيضاً ، وهو مخطوط عندي ، ولله الحمد ، في خمس وعشرين صفحة كبيرة ، وسأنشره محققاً بعد نشري لكتابه (الابدال) الذي حققته ، وقرر المجمع العلمي العربي نشره ، ولعله أجل كتب أبي الطيب اللغوي ، وأوسع ما ألف في الابدال بعد يعقوب بن السكيت الذي نشر ابداله هفنر ببيروت ونفدت نسخه من بلادنا العربية ، وكأنما طبع للمستشرقين .

وأما كتابه (الاتباع) فهو في المزاوجة نحو حسن يسن ، قال السيوطي في مزهره[٤] : وقد ألف ابن فارس تأليفاً مستقلاً في هذا النوع ، وقد رأيته مرتباً على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته : (الالماع في الاتباع) ؛ أقول : واتباع ابي الطيب أيضاً مرتب على حروف المعجم ، وكان على ما ذكره المعري

---

(١) ص ٥١٢ .
(٢) في الطبعة الجديدة ١/١٩٠ .
(٣) رقم ١٤٢٥ تاريخ .
(٤) ٩/٤٤٩ - ٤٦٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في أيدي البغداديين ، وكانوا مولعين بحفظ لغتهم العربية بألواحهم ، فقد حفظوا أتباع ابي الطيب كما حفظوا فصيح ثعلب واصلاح المنطق من قبل .

ولأبي الطيب كتاب (شجر الدر) وهو من النوع المعروف بالمشجَّر ، وقد ذكره المعري انه « سلك به مسلك أبي عمر في « المداخل » ، وأبو عمر هذا المعروف بغلام ثعلب ، كان من حفاظ اللغة وأئمتها ، وكتابه (المداخَل) قد نشره عالم الهند الأستاذ الراجكوتي في مجلة مجمعنا العلمي [1] باسم (المداخلات) ، قال السيوطي في مزهره : « ألف في هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتباً سموها : (شجر الدر) منها شجر الدر لأبي الطيب اللغوي » . قال في كتابه المذكور : « هذا كتاب مداخلة الكلام للمعاني المختلفة سميناه كتاب (شجر الدر) : لأنا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعاً ، فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها ٥٠٠ كلمة أصلها كلمة واحدة ، وإنما سمينا الباب شجرة لاشتجار بعض كلمانه ببعض أي تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، فهذا الوجه الذي ذهبنا اليه » .

أما كتاب (الفرق) الذي ذكر المعري ان أبا الطيب قد أكثر فيه وأسهب ، فقد ذكره السيوطي في المزهر [2] باسم الفروق ونقل منه أمثلة مفيدة ننقل منها المثال التالي :

« يده من اللحم غمرة وندلة ، ومن اللبن وضمرة ، ومن السمك والحديد أيضاً سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة ، ومن العسل لثقة ، ومن الجبن نمسة ، ومن الودك ودكة ، ومن النفس طرسه ، ومن الدهن والسمن نسمة ، ومن الخل خمطة ، ومن الماء لثة ، ومن الخضاب ردعة ، ومن الطين ردغة ،

(١) ط دار الاحياء ١/٤٤٥ .
(٢) المزهر ١/٤٤٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن العجين لوثة ، ومن الدقيق نثرة ، ومن الرطب والتمر حمتة ، ومن الزيت وصئة ، ومن السوبق والبزر رغفة ، ومن النحاسة نجسة ، ومن الأشنان حرضة ، ومن البقل زهرة ، ومن القار حلكة ، ومن الفرصاد قنئة ، ومن الرطاب مصعة ، ومن البطيخ نضخة ، ومن الذهب والفضة قشمة ، ومن الكامخ شهرة ، ومن الكافور سطعة ، ومن الدم شحطة ، ومن التراب تربة ، ومن الرماد رمدة ، ومن الصحناه صحنة ، ومن الخمط مسة ، ومن الخبز خبزة ، ومن المسك ذفرة ، ومن غيره من الطيب عطرة ، ومن الشراب خمرة ، ومن الروائح الطيبة أرجة » .

ونقل أكثر هذه الفروق أبو القاسم الحسين بن علي من خط أبي العباس احمد ابن يحيى ثعلب ، وأخذ بعضه عن أبي اسامة جنادة اللغوي ، وهنالك فروق أخرى مما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات رواها ابن خالويه والفرّاء والزجاجيّ وغيره ، فهل في لغات أمم العالم لغة أدق وأوسع من هذه اللغة العربية ، ومن يقوى على مثل هذا التفريق والتدقيق ، ونحن في عصر الناس هذا أحوج ما نكون اليها في تسمية المسميات العلمية الحديثة !

ومما أغفله ابو العلاء المعري من كتب ابي الطيب كتاب (الأضداد) وقد ذكره الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، ولم يذكر صاحب المزهر أبا الطيب اللغوي بين من ألفوا في الأضداد وهم قطرب والتوزي وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو البركات بن الأنباري وابن الدهان والصغاني ، ولا حاجة بنا لنقل مثال من الأضداد مما أورده السيوطي فالمقصود بها معروف ، ولا نحتاج في عصرنا هذا العلمي الى الأضداد ، وقد أنكرها جماعة منهم ابن درستويه وله في ذلك تأليف أشار المزهر اليه ، وقد ذكر بروكلمن أيضاً كتاب (الأضداد) لأبي الطيب في الجزء الأول من ذيول تاريخه للأدب العربي (G. A. L) .

ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب (المثنّى) ، وهو عندي ولله الحمد لطيف يشتمل على نوعين الاتباع والتغليب : أما الاتباع فقد ذكرناه ، وأما التغليب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فقد تكلم أبو الطيب عنه في المثنى في تسع عشر صفحة كبيرة وسننشره إن أعان الله ، وما أدري أكتاب (الاتباع) مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثنى ، وبحث في (المثنى) كما في المزهر يعقوب بن السكيت ، وللمحبي من المتأخرين كتاب (جنى الجنتين) ، وبحث عنه من المعاصرين أحمد تيمور [١] وسليم عنحوري [٢] في مجلة مجمعنا العلمي .

وقد يتبادر الى الذهن ان اسم المثنى ليس من تسمية أبي الطيب ، وفي مقدمة المثنى ما يثبت ان الاسم له لقوله : « ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ما ورد من كلام العرب (مثنى) في الاستعمال تثنية لازمة » وجمعها في عشرة أصناف ، تسعة منها من التغليب ، والعاشر في الأفعال المثناة وهو صنفان : أحدهما الفعل المبني على صيغة التثنية ، والمراد به تكرير الفعل ، والثاني الفعل يجيء لفظه لاثنين ومعناه لواحد .

أما كتاب (الابدال) ، وهو أجل كتب أبي الطيب ، الذي قرر المجمع العلمي العربي نشره ، فموعدنا في وصفه العدد المقبل ان شاء الله .

التنوخي

---

(١) مجلة المجمع العلمي (٤/٤/١٤٧) .
(٢) مجلة المجمع (٤/٢٤) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net